كلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: مدخل الى الأنثروبولوجيا

السداسي: الأول

وحدة التعليم: الأساسية

الرصيد:05

المعامل:02

البريد الإلكتروني: linda.zeghlache@univ-msila.dz

هدف المحاضرة الأولى: تزويد الطالب بمعارف أساسية حول الأنثروبولوجيا لتعرف على هذا العلم، بدءا من تحديد مفهومه، موضوعه، أهميته، أهدافه، وعلاقته بمصطلحات الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا، والأركيولوجيا.

المحاضرة رقم 1

المعنى الدلالي لعلم الأنثروبولوجيا وأهدافه، وعلاقته بمصطلحات الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا، والأركيولوجيا.

د.زغلاش ليندة

1.الأنثروبولوجيا:

تعرف الأنثروبولوجيا من حيث الجوهر بأنّها علم الإنسان أو علم الإناسة، وهي علم يقوم بدراسة الكائنات الإنسانية في سياق النظم الثقافية الّتي تحيط بهم على نحو كلي. وتنطلق هذه التسمية من دلالة الأصل اللغوي لمفهوم الأنثروبولوجيا في اللغة اليونانية الّذي يتكون من تخاصب كلمتين يونانيتيين هما: Anthropos، ومعنا" **الإنسان**" وLogos ومعناها" **علم**" وتأسيسا على هذا المصدر الاشتقاقي تعرف الأنثروبولوجيا بعلم الإنسان أو علم الإناسة. وهذه الدلالة لا تقف عند حدود الاشتقاق اللغوي، بل تنطلق أيضا من الدلالة الموضوعية لهذا العلم الذي يجعل من الإنسان في مختلف تجلياته الإنسانية موضوعا لدراسته وتقصياته المستمرة. وهي وفقا لهذا التصور تركز بالضرورة على الظروف الاجتماعية التي تحيط بالبشر وعلى طبيعة العلاقة التي تربط بين الناس والوسط الذي يعيشون فيه على نحو شمولي (علي وطفة، 2011، ص104).

لذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنّها العلم الّذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة، ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوّراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله. (الشماس، 2004، ص13-14)

في المقابل نجد في معاجم عربية حديثة تعريفا مركزا يقدم الأنثروبولوجيا بأنّها "علم الإنسان، وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وعاداته ومعتقداته، وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها". (حسن شحاتة، 1966، ص16)

فمصطلح الأنثروبولوجيا يعنى به علم دراسة الإنسان طبيعيا، واجتماعيا، وحضاريا. (شاكر مصطفى، 1981، ص56) فهو علم يدرس الإنسان من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي ويتفرع من هذا العلم مجموعة من العلوم المتخصصة في دراسة الإنسان، كالأنثروبولوجيا الفيزيقية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية. (أحمد زكي، 2009، ص21)

ولعلّ أولى استخدامات الأنثروبولوجيا كانت في علم وظائف الأعضاء والتشريح، والّتي سميت بعد ذلك بالأنثروبولوجيا البيولوجية، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر استخدم اللاهوتيين الأوروبيين هذا المصطلح للإشارة إلى إسناد ميزات الإنسان إلى الآلة.

بمعنى أنّ الوظيفة الحقيقية للأنثروبولوجيا قد برزت في علوم أخرى، فهي استخدمت في تشريح الأجساد البشرية وفحص الأعضاء، على اعتبار أن هذه العمليات تتعلق بالإنسان وتشكل جزءا واحدا من اهتمامات الأنثروبولوجيا بشكل عام، أي أن العلوم اهتمت بوظائف الأنثروبولوجيا قبل نشوء هذا العلم وتطوره في أوقات لاحقة. (مازن مرسول محمد، 2015، ص109)

وفي هذا أدلى الباحث الفرنسي **جان بواريه** أن اصطلاح الأنثروبولوجيا، قد ظهر أولا في كتابات علماء الطبيعة، إبان القرن 18، لتعنى بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان (L'histoire naturelle de l'homme)، إذ اعتبر بواريه أن العالِم الطبيعة الألماني **جوهان بلومينباخ** J.Blumenbach أوّل من أدخل مصطلح الأنثروبولوجيا في منهج تدريس التاريخ الطبيعي، بالمقررات الجامعية، كما استخدمه في الطبعة الثالثة من كتابه الّذي صدر عام 1795 بعنوان "**عن التنوعات الطبيعية الجوهرية بين البشر**" (Naturta de generis humani varietate)، ويذكر بواريه أيضا أنّ الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت I.kant أشاع استخدام هذا المصطلح خاصة بعد صدور كتابه "**الأنثروبولوجيا من منظور علمي**" (Anthropology in Pragmatischer). (فهيم، 1986، ص15)

يصنف **توماس بنيمان** T.Penniman, 1965 في كتابه "**تاريخ الأنثروبولوجيا في مائة عام**" "A hundred years of Anthropology" تاريخ الأنثروبولوجيا إلى **خمسة مراحل: المرحلة الأولى** وهي المرحلة التمهيدية التاريخية لهذا الفرع العلمي، وتبدأ منذ العصور التاريخية الإغريقية وتنتهي في عام 1838، وتتمثل هذه المرحلة بالأوصاف الأدبيّة للحضارات القديمة والتأملات الفكرية الخالصة في طبيعة الإنسان وحقيقته، وتقع **المرحلة الثانية** ما بين 1835 حتى 1859 ،حيث بدأت الأنثروبولوجية تأخذ صورة معرفة علمية بطابع تأملي فلسفي، وفي **المرحلة الثالثة** اتخذت الأنثروبولوجيا هيئتها علما أكاديميا في المدة ما بين 1859 حتى 1900، وتسمى **المرحلة الرابعة** مرحلة التأصيل العلمي الأكاديمي وتمتد بين عامي 1900 و1935 .أما **المرحلة الخامسة** الّتي بدأت عام 1935 وحتى نهاية الخمسينيات فتوصف بأنّها مرحلة التدعيم والتثبيت ومرحلة ظهور الفروع العلمية الجديدة لهذا العلم. (علي وطفة، 2011، ص108-107)

لقد تعددت استخدامات مصطلح الأنثروبولوجيا حسب التوجهات النظرية الفكرية الّتي استخدمته، مما زاد اتساع الفجوة بين علماء علم الإنسان وفي تعقيد هذا العلم من حيث زيادة تنوع موضوعاته واهتماماته، "فنجد ما درج الأمريكيون على تسميته الأنثروبولوجيا الثقافية، يصطلح

الفرنسيون على تسميته بالإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا ، وفي بعض الأحيان، يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع، وتعني الأنثروبولوجيا لدى العلماء الفرنسيين" دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان". (يحي مرسي، 2007، ص10) أما الإنجليز فأسموها بالأنثروبولوجيا الاجتماعية وتعاملوا معها كعلم قائم بذاته، وهذا ما يساعدهم على وضع نماذج نظرية تشرح أبنية المجتمعات وتفسر الآليات والوظائف الّتي تساعد على استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها، وبهذا خرج إلى الوجود ما يعرف بأنثروبولوجيا القرابة أو الدّين أو الاقتصاد وغير ذلك مما يسير ضمن إطار الانثروبولوجيا الاجتماعية.

أمّا فيما يتحدث الأوروبيون عن الأنثروبولوجيا فهم يذهبون إلى ما يسميه الإنجليز الأنثروبولوجيا الفيزيقية، أمّا ما يسميه الإنجليز أنثروبولوجيا اجتماعية، فيسميه الآخرون الإثنولوجيا.

أمّا من حيث موضوع العلم، فإننا نجد من استعراض دراسات الأنثروبولوجيا في ماضيها وحاضرها أن رجال هذا العلم قد أخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مآخذ الجد، ومن هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق هــو دراسة الإنسان وأعماله، أي كلّ إنجازاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان، ولهذا نقول أنّ الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم الّتي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق.

ثم إنّ الأنثروبولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة معينة من الناس، أو أي حقبة من الحقب التاريخية، بل إننا نجده يهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بنفس دجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة، إذ يدرس كلا من التطور البنائي للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال الّتي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا، كذلك يوجه الأنثروبولوجي اهتماما خاصا إلى الدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة.

وهو يحاول كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية الّتي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى، وكذلك تلك المعايير الّتي تصلح للتمييز بين الأنواع العديدة داخل الأسرة البشرية نفسها. وتركز الدراسة المقارنة للحضارات اهتماما على أوجه الاختلاف والتشابه في الثقافات، الّتي يمكن ملاحظتها بين الجماعات البشرية العديدة الّتي تعيش على سطح كوكبنا، وتحاول أن تحدد وتعرف القوانين أو المبادئ الّتي تحكم تكوّن المجتمعات البشرية والثقافاتها وتطورها. (الجوهري وآخرون، 2007، ص15)

ومن ناحية أخرى يقدم **مارسيل موس**، ابن أخت إميل دوركايم، وصاحب العمل الرائع **الهدية** The gift دراسة الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة مستويات من التحقيقات: الأثنوغرافيا، والاثنولوجيا والأنثروبولوجيا، بالنسبة للأثنوغرافيا فيعرفها بأنّها الدراسة المفصلة للأعراف والمعتقدات والحياة الاجتماعية، ويعرف الإثنولوجيا بأنّها المهنة ذات الأساس التجريبي للمقارنة الإقليمية أما بالنسبة للأنثروبولوجيا نفسها فيعتبرها المحاولة النظرية ذات البعد الفلسفي لصياغة تعميمات عن الإنسانية والمجتمع وفق نتائج البحث لكل من الأثنوغرافيا والإثنولوجيا. (هيلاند إريكس وفين سيفرت، 2014، ص08)

من خلال الإطلالة السابقة وجدنا أنّ الأنثروبولوجيا هي دراسة شمولية للإنسان وهو ما جعل منه فرع معرفي ذو مجالات عديدة وارتباطات بعلوم شتى، وهو المجال الّذي يرتبط مباشرة بالإنسان الّذي يتمحور حوله معظم الأنشطة المعرفية والتطبيقية من علم الطب وعلم النفس والفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجتماع... الخ.

"ولعلّ الكثير من العلوم الّتي تندرج في تسلسلاتها ما بين العلوم الطبيعية أو الاجتماعية والإنسانية قد ركز كلا منهما على جانب من جوانب حياة الإنسان، فالبيولوجية مثلا اهتمت بكل ما يتعلق بالنشأة البيولوجية للإنسان وتطوراتها وما ينتج عنها، وتتداخل معها العلوم الطبيعية الأخرى في دراسة ما يخصها بالإنسان، وعلوم اجتماعية وإنسانية تتعلق مثلا بتجمعات الإنسان وسيكولوجيته والاقتصاد الّذي يتعامل به وسياسة الدولة الّتي يعيش فيها وغيرها من العلوم الأخرى، في حين أنّ الأنثروبولوجيا شملت أكثر هذه التخصصات في دراسة الإنسان". (مازن مرسول محمد، 2015، ص109) وأن الأنثروبولوجي يرحب بكل إسهامات هؤلاء العلماء وذلك للوصول إلى تحقيق الهدف العام لعلم الإنسان نفسه ألا وهو فهم الإنسان ويقدم نتائج بحوثه ودراساته المختلفة من أجل تحقيق صالح الإنسان. (فاروق أحمد، 2013، ص13)

فالدراسة الأنثروبولوجية للإنسان هي دراسة متكاملة بما تحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفيزيولوجية ثقافية واجتماعية فهي تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية وثقافية ومقارنة التنوع الهائل للجماعات الإنسانية للحفاظ على وحدة العلوم وتكاملها. وبهذا المعنى فإن الانثروبولوجيا تتناول موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان.(سعيدي،2013،ص17)

وتختص الأنثروبولوجيا بوجه عام، بعدد من السمات الأساسية الّتي تميزها عن العلوم الأخرى، وأهمها:

- تركز الأنثروبولوجيا على دراسة جماعات خاصة من حيث التكوين والوظيفة، مثل: الجماعات البدائية، الجماعات الريفية، العرقية الإثنية، والأقليات، وتتميز هذه الجماعات بأنّها بسيطة وشفافة وصغيرة وقليلة الكثافة، ويبدو هذا التركيز واضحا في مرحلة التأسيس والنهوض.
- اعتماد الأنثروبولوجيا على منهج الملاحظة بالمشاركة والمقارنة والوصف الحي للظواهر المدروسة والدراسات القليلة، وتركز على نحو خاص على البحث بالمعايشة الذي يتطلب اندمج الباحث في الوسط الثقافي والاجتماعي للجماعات التي تدرس.
- تعتمد الأنثروبولوجية الطابع الشمولي والكلي في دراستها للمجموعات البشرية الخاصة، ويركز هذا المنهج على دراسة المجتمع دراسة كلية تشمل عقائده، وشعائره، واقتصاده، وسياسته، وتكويناته الفيزيائية والطبيعية والتاريخية.

وتعد الأنثروبولوجيا بصورتها الأكاديمية أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق، وقد ولدت في نهاية القرن 18 في نسق من الدراسات الّتي خصصت لدراسة المجتمعات البدائية القديمة، وقد تطورت بصورة متوازنة من علم الاجتماع، حيث تمحورت حول المجتمعات البدائية بما عرف عنها من تجانس وشمول، وفي الوقت الّذي اهتم فيه علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية المعقدة والمتناقضة. وعلى الرغم من الاختلاف في المنهجية والموضوع البحثي، فإنّ التطور البحثي لكلا العلمين ينمُّ على تقارب كبير في القضايا والموضوعات الّتي يباشرها كلّ منهما، ويشمل هذا التقارب دراسة البنى الاجتماعية والعمليات الاجتماعية، مثل دراسة الطقوس والظواهر الرمزية والعلاقات الاجتماعية. (علي وطفة، 2011، ص105)

2.أهداف دراسة الأنثروبولوجيا:

استنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها فإنّ دراستها تحقق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية: (الشماس، 2004، ص17)

1-وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليوميّة.

2-تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان: (بدائي- زراعي- صناعي – معرفي – تكنولوجي).

3-تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية... وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.

4-استنتاج المؤشّر والتوقعّات لاتّجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

إنّ اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلّها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقاً أساسياً في فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها. ولكن على الرغم من التوسّع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيّما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، تؤكّد ولا شك، تفرّد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى، ولا سيّما علم الاجتماع. (فهيم، 1986، ص35)

ومن هنا كانت أهميّة الدراسات الأنثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية، وإيجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيداً عن التعصّب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أية أصول علمية.

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا، بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوّره الثقافي/الحضاري، فإنّ أهمّ ما أثبته هو، أنّ الشعوب البشرية بأجناسها المتعدّدة، تتشابه إلى حدّ التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيّما في النواحي العضوية والحيوية. (الشماس، 2004، ص18)

3.عرض المعنى الاصطلاحي لكل من الأثنولوجيا، والإثنوغرافيا، والأركيولوجيا:

من الجدير بالإشارة إلى ضرورة عرض موجز إلى معنى المصطلحات: الأثنوغرافيا، الإثنولوجيا، الأركيولوجيا، حتى يتضح مجال موضوع دراسة كلّ منهم. **1.3.الأثنولوجيا:**

فرع من فروع الأنثروبولوجيا، وهي دراسة المقارنة، ويعتبرها الأنثروبولوجيون الأمريكيون فرعا من الأنثروبولوجيا الحضارية (Cultural Anthropology)،و "مصطلح الإثنولوجي يتكون من

شقين الأول إثنوز Ethnos، ومعناها الشعوب، وهي كلمة يونانية قديمة، والشق الثقافي كلمة لوجي Logy ومعناها علم، فالمصطلح معناه علم دراسة الشعوب، وتعني الأثنولوجيا عند بعض المنظرين دراسة تصنيف الناس على أساس خصائصهم الثقافية والسلالية إلى جانب الاهتمام بتحركات الأفراد وانتشار سمات الثقافية". (عامر مصباح، 2010، ص70) كما تعرف على أنها الدراسة المقارنة لأوجه الاختلاف والاتفاق بين الحضارات، لاستنباط تعميمات حول أصولها وتطورها وتنوعها، وتختلف الأثنولوجيا عن الأثنوغرافيا، من ميل الأولى إلى الدراسات النظرية، وإلى المقارنة بين الحضارات، كما تختلف عن الأنثروبولوجيا الاجتماعية من حيث ميل الأخيرة إلى التوكيد على التحليل البنائي لحضارة المجتمع المدروس، وقد أضحت أغلب الموضوعات الّتي كانت تعالجها الأثنولوجيا في النصف الأخير من القرن الماضي، وفي مطلع هذا القرن، الآن ضمن اختصاص علوم أخرى مثل الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الحضارية والأنثروبولوجيا الطبيعية. (شاكر مصطفى، 1981، ص315)

الأثنولوجيا أو ما يصطلح عليها أيضا "علم الإنسان التحليلي"، تهتم بالدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والأصول الأولى للنوع الإنساني كما تهتم بأحوال الثقافات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها. ولهذا كان يعبر عنها بالأنثروبولوجيا الثقافية وكانت إلى عهد قريب جدا تختلط بالأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وكانت الموضوعات الّتي يدرسها علماء هذا الفرع من البريطانيين، وهي الّتي يدرسها علماء الأثنولوجيا الأوروبيون والأمريكيون، وكانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية والاثنولوجيا يعتبران في نظر علماء القرن التاسع عشر علما واحدا ودراسة واحدة، لأنّ كلّ منهما يبحث الثقافات والمجتمعات الإنسانية.

وكانت الجماعات البشرية والمجموعات السلالية تصنف على أساس ثقافتها وكانت عناية العلماء عامة تتبع الأول الأولى للثقافات والحضارات الإنسانية، وبعد أن اتجهت أنظار العلماء إلى العناية بالدراسة الوظيفية لنظم الجماعات Functional Approsch وتوجيه مزيد من الاهتمام إلى البنية الاجتماعية Social Structure وبيان العلاقات الوظيفية والتكاملية بين النظم الاجتماعية، وإغفال الجانب النشوئي والتاريخي أو التحلل من أهميته النسبية في البحوث الاجتماعية ظهر الاتجاه إلى فصل الدراسة الإثنولوجية عن الدراسة الأنثروبولوجية الاجتماعية، وبذلك استقل كل من فرعي

الانثروبولوجيا بعضهما عن البعض الآخر، بالرغم من عدم ظهور هذا الاستقلال بالنسبة للدراسات الأنثروبولوجية في أمريكا، إذ ظلت العناية بدراسة الثقافة وتحليلها أهم ما يشغل أذهان علماء الأنثروبولوجيا الأمريكان. (أحمد زكي، 2009، ص140-141)

الأثنولوجيا تهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الأثنوغرافية، بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بعدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية، من حيث أحوالها وتطورها وتنوعها، وبهذا تشكل المادة الأثنوغرافيا قاعدة أساسية لعمل الباحث الأثنولوجي، فالأثنوغرافيا والأثنولوجيا مرتبطتان إذن وتكمل الواحدة الأخرى. (فهيم، 1986، ص15)

من خلال ماسبق نجد الأثنولوجيا تعنى بالدراسة التحليلية والمقارنة للثقافات أو الشعوب، وتمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها، كما عرفها علم الأثنولوجيا السوفييتية أو الأوروبية.

وقد عرف كروبر ميدان دراسة الأثنولوجيا بأنّه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا، بينما ميز راد كليف براون[1] الأثنولوجيا الّتي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب، عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والّتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

2.3.الأثنوغرافيا Ethnography:

مصطلح الأثنوغرافيا أو وصف الأعراق البشرية، مشتقة من الأصل اليوناني **إثنوس** Ethnos ويعني ناس، شعب، امة، قبيلة، الأقلية...، و**غرافو** Grapho يعني "أنا أكتب" لذا فإنّ ترجمتها هي "أنا أكتب عن القبيلة" أو "وصف الشعوب"، وهناك من المراجع يؤول معناها إلى "الكتابة"، "كما نجد معناها "الوصف والتصوير" ليصبح معنى إثنوغرافيا هو الدراسة الوصفية للشعوب". (سعدي، 2013، ص19) أي بمعنى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة، أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة. (فهيم، 1986، ص14)

أو ما يطلق عليه علم الإنسان الوصفي؛ يهتم بدراسة المظاهر المادية والثقافية للجماعة في مختلف الأمكنة والأزمنة والّتي تبرز نتاج جهد الإنسان للسيطرة على بيئته الطبيعية ومحاولة

---

[1] رادكليف براون Radcliffe Brown: من أشهر علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرين إذ اعتبر أبا للأنثروبولوجيا الحديثة، وأول من فتح مجال التركيز على المفاهيم الأنثروبولوجية العلمية الدقيقة، وأن جهوده كانت مميزة وواضحة في فصله بين الإثنولوجيا [وهو العلم الّذي يركز في مجال دراسته النظرية والتطبيقية على دراسة الشعوب] وبين الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وقارن بين العلمين واستنتج أنّ لكل منهما منهجه وموضوعه الخاص به. (جعنيني، 2009، ص140)

استغلال مواردها في سبيل قضاء حاجاته الأولية والضرورية والاجتماعية. لذلك فإنّ في مقدمة ما تعنى به الأثنوغرافيا المواضيع المادية الّتي تصور التقدم التكنولوجي العام الّذي يظهر دينامية العقل الإنساني في محاولته السيطرة على الطبيعة.

وما من شك أنّ المخلفات الأركيولوجية قد أماطت اللثام عن الأدوار الحضارية الّتي مرت بها الإنسانية في فجر تقدمها.

وقد اتخذ العلماء من الأدوات والآلات الّتي استخدمها الإنسان في العصور الجيولوجية المتعاقبة دلائل وسمات على التطورات الحضارية كالعصر الحجري والعصر البرونزي والعصر الحديدي.

فهي تدل على المهارة والمعرفة العلمية المتحققة في تلك الازمنة، كما أنّها تعكس النظم الاقتصادية القائمة في الجماعات الّتي تستخدمها كوسائل إنتاج، والمعلومات الّتي تجمعها الأثنوغرافيا تقوم الأثنولوجيا بتحليلها وإيجاد العلة بين بعضها البعض. (أحمد زكي، 2009، ص140)

3.3.الأركيولوجيا Archaeology:

- التعريف الاشتقاقي بالفرنسية: Archéologie مشتقة من الكلمة الإغريقية Archéologia ومعناها ذلك العلم الّذي يهتم بكل ما هو قديم.
- التعريف الاصطلاحي: علم يهتم بالأشياء القديمة، وبالخصوص الفنون والآثار القديمة. (تيلوين، 2011، ص42)

الأركيولوجيا أو ما يصطلح عليه بعلم الآثار القديمة ،يعتبر في الولايات المتحدة الأمريكية فرعا من الأنثروبولوجيا، وعلما وثيق الصلة بها في بريطانيا، ويدرس علم الآثار الماضي، بقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمعات الإنسانية وحضارتها في العصور القديمة وعصور ما قبل التاريخ، عن طريق التنقيب، والأساليب الّتي يعتمدها هي جمع المخلفات، وتحليل المعلومات المستنبطة من الحفريات، ثم وصف الأدوات الّتي يعثر عليها وصفا دقيقا، وتصنيفها، مع التركيز على المعلومات المتعلقة بالتسلسل الزمني، ورغم أنّ علم الآثار ظهر في القرن 16، لم يصبح علما محدد المناهج والأهداف إلا في القرن 19، وأكبر أهدافه إعادة بناء تاريخ الحضارات القديمة، لدراسة تطور الحضارات البشرية، ويقسم علم الآثار الى قسمين: "علم آثار ما قبل التاريخ" ويدرس الحضارات الّتي لم تعرف

الكتابة، ويشمل فترة تمتد قرابة مائة ألف عام، و"علم آثار الكلاسيكي" ويدرس الحضارات التاريخية القديمة الّتي عرفت الكتابة، ويشمل فترة تمتد نحو ستة آلاف عام". (شاكر مصطفى، 1981، ص63)

ويعتبر علم الآثار في القارة الأمريكية جزءا من علم الإناسة "الأنثروبولوجيا" بينما يرى علماء الآثار في أوروبا أنّ علمهم يرتبط ارتباطا وثيقا بميدان علم التاريخ.

العلاقة بين الأثنوغرافيا والأثنولوجيا والأنثروبولوجيا:

يتفق أغلب الباحثين الاجتماعيين على أنّ العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا والإثنوغرافيا هي علاقة معرفية تكاملية وعضوية يصعب فصل الواحدة عن الأخرى أحيانا حيث أنّها لا تشكل ثلاثة علوم مختلفة بل ثلاث مراحل متتابعة وبشكل أدق ثلاثة تصورات مختلفة لبحث واحد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالمعارف الثلاث تؤدي إلى بعضهم البعض في كثير من الدراسات الّتي تبدأ إثنوغرافيا وتنمو إثنولوجيا لتصل إلى ذروة المساءلة الأنثروبولوجية. (سعيدي، 2013، ص19)

ظهرت كلمة إثنوغرافيا للمرة الأولى عام 1772 لدى المؤرخ الألماني سلاتزر (Schlazer) لكي تعرف عن منهج ليني[2] (Lunnéen) لدراسة تاريخ الشعوب الخاص، وفي الفرنسية يظهر مصطلح إثنولوجيا (Ethnologie) عام 1787 لأول مرة في كتاب شافان (Chavannes) "دراسة عن التربية الفكرية من شروع لعلم جديد". (تولرا وبيار فارنييه، 2004، ص27)

كما سبق أن عرفنا أنّ علم الإثنوغرافيا والإثنولوجيا أتيا من أصلين يونانيين وكلا العلمين يقوم بدراسة الثقافات الإنسانية، غير أنّ الإثنوغرافيا هي علم وصفي صرف، إذ يقوم بتصوير لثقافة الشعب ووصفها وبيان ما يسودها من نظم وعادات وتقاليد، دون الدخول في تحليل هذه المعلومات وإيجاد الصلة بينها وبين بعضها بعض، فمهمته أشبه شيء بآلة التصوير، إذ ينقل صورة مضبوطة أمينة لما يسود الشعوب المدروسة من ثقافات وحضارات بلا زيادة ولا نقصان، ثم يأتي علم الإثنولوجيا فيحلل هذه" المادة الخام" التي جمعها علم الإثنوغرافيا، ويصنفها ويبوبها ويوجد العلاقات بينها حتى يصل إلى الكشف عن المبادئ العامة، أو القواعد والقوانين الّتي تخضع لها هذه الظواهر، ويصل ما بين هذه المبادئ من جهة والمبادئ العامة المعروفة عند علماء الإنسان من جهة أخرى،

---

[2] **منهج ليني:** نسبة إلى عالم الطبيعة السويدي كارل فون ليني (Carl Von Linné) الّذي قام بتصنيف لأنواع النبات والحيوان من خلال تحديد مزدوج يتميز فيه الكائن الحي بنوعه وجنسه.

ويقوم بما يتبع ذلك من المنهج العلمي المعروف من فرض الفروض وإجراء الاختبارات الّتي تثبت صحة تلك الفروض أو خطأها. (حسن شحاتة، 1966، ص23-24)

هذا يعني أنّ الأهداف النهائية للعالم الأثنولوجي، هي في الأساس محاولة فهم كيف تعمل المجتمعات والثقافات؟ وكيف ولماذا تتغير الثقافات؟ كما يحاول أن يتوصل إلى تعميمات معينة أو "قوانين" بحسب المصطلح الدارج للمفهوم، لتساعده في التنبؤ باتجاه سير الأحداث، بقصد التحكم به في النهاية.

فاذا كان القول بأنّ الأثنولوجيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة رأسية، أي دراسة مقارنة زمانية تاريخية لثقافات الماضي، مع متابعة دراسة تلك الثقافات وتطورها ومقارنتها عبر التاريخ، فإنّ الأثنوغرافيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة أفقية محددة المكان، وهكذا تكون الأثنولوجيا دراسة مقارنة في الزمان، بينما تكون الأثنوغرافيا دراسة مقارنة في المكان. (الشماس، 2004، ص142)

أما الأنثروبولوجيا فهي تشكل المحطة الأخيرة في هذه المسيرة، فهي تشكل في نهاية الأمر منهجا يسعى إلى تجميع المعرفة بالإنسان من كافة الجوانب وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومترابط عن الإنسان ونتاجه الحضاري، في الماضي والحاضر، ومن ثم يكون لها قدرة على استقراء أنماط الحياة المستقبلية... وإبراز الكيفية الّتي ينظم بها الأفراد والجماعات وسائل معيشتهم والمحافظة على بقائهم. من خلال هذا الطرح المعرفي والموضوعاتي، نشير إلى أنّ المسيرة الإثنوغرافية والأثنولوجية، الأنثروبولوجية تتلخص فيما يلي:

- المحطة الأولى: الاثنوغرافيا: الرصد والشرح والوصف والتفسير.
- المحطة الثانية: الاثنولوجيا: التحليل والمقاربة والتصنيف.
- المحطة الثالثة: الأنثروبولوجيا: استنباط القواعد والقوانين والأنساق.

قد يستعين الباحث الأنثروبولوجي بالوصف والتصوير اللذين ينجزهما الباحث الإثنوغرافي، كما قد يستعين أيضا بما توصل إليه الباحث الإثنولوجي، من تحديد لخصوصيات الموضوع وتصنيفاته له، فهو يستعين بكل هذه الانجازات مضيفا لها أشياء أخرى تتعدى الوصف والتحليل الإثنوغرافي والإثنولوجي، وذلك بهدف صياغة قضايا تتعلق بالظروف الاجتماعية في وجود الإنسان، فضلا عن تحقيق تلك القضايا الّتي تكون (قوانين الإستاتيك الاجتماعية) أو تتعلق بمظاهر

الانتظام والأنساق في عملية التغيير الاجتماعي فتكون (قوانين الديناميكا الاجتماعية). (سعيدي، 2010، ص20-22)

كما يجب الإشارة إلى أنّ مصطلح الأثنوغرافيا في بريطانيا يعني البحوث الوصفية والتحليلية الّتي قام بها علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية الّتي درسوها دراسة ميدانية، وبالرغم من أنّ الأثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والأنثروبولوجي الاجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية، فإنّ هناك ارتباطا وتداخلا وثيقا بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية الّتي يقومان بها. غير أنّه في الولايات المتحدة الأمريكية لا توجد هناك علاقة وثيقة بين علم الأثنوغرافيا وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعي، بل توجد علاقة مرتبطة بين علم الأثنوغرافيا والأثنولوجيا، فالعالم **هيرز كوفنتر** يرى في كتابه "**الإنسان وأعماله**" بأنّ الاثنوغرافي هو وصف للحضارات وبحث مشاكل النظرية المتعلقة بتحليل العادات البشرية للمجتمعات الإنسانية المتباينة.

والإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا عندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا وأستراليا وآسيا، حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكلّ ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة، وسرعان ما تبنى الأنثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري، أمّا في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج لمجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم، وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف الأدوات الّتي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشعوب البسيطة الّتي درسها ووصفها الأثنوغرافيون، وهكذا فإنّ استخدام الأثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه. (محمد الجوهري وآخرون، 2007، ص19)